مجلة شهرية علمية متخصصة
في بيان حقيقة الصوفية

مدارك

العدد الرابع
شهر شوال ١٤٤٧ هـ | مارس ٢٠٢٦م

التحول الرقمي للطرق والمؤسسات الصوفية: من الخطاب الوعظي إلى البنية المنصاتية



المحبة المشروعة والاعتقاد الممنوع في الصالحين تأصيل شرعي

موقف علماء الصوفية من الحرب الإيرانية تحقيق صحفي

WWW.MDAREK.NET

الفهرس

م	اســـــــم الصفحـــــــة	رقم الصفحة
1	**افتتاحية العدد** موقف علماء الصوفية من الحرب الإيرانية - تحقيق صحفي	6 - 3
2	**قاموس المصطلحات** ختـم الأوليـاء ... تطـور نظريـة تفضيـل الولـي علـى النبـي .. عـرض لأقـوال أعلام التصـوف الفلسـفي	12 - 7
3	**شخصيات صوفية** الإمام عبد القادر الجيلاني: سلطان الأولياء ومجدد علوم الشريعة	14 - 13
4	**إحصائيات وتحليلات** مـن الزاويـة إلـى المنصّـة: التحـول الرقمـي للطـرق والمؤسسـات الصوفيـة عالميًـا	20 - 15
5	**الصوفية حول العالم** لجنة الرصد والمتابعة في مجلة مدارك	27 - 21
6	**شبهات تحت المجهر** المحبة المشروعة والاعتقاد الممنوع في الصالحين: تأصيل شرعي	32 - 28
7	**خزّانـــة الوثائـــق** مـن التفسـير إلـى التأويـل الصوفـي: قـراءة نقديـة فـي مخطوطـة ابـن عربـي فـي الفاتحـة والبسـملة	37 - 33
8	**محطات تاريخية** نشأة التصوف في القرن الثاني الهجري: من الزهد الفردي إلى التكوين المدرسي	43 - 38
9	**عصارة الكتب** كتـاب «موقـف ابـن تيميـة مـن الصوفيـة»: حيـن يُقـرأ التصـوف بميـزان التحريـر لا بشـعارات الخصومـة	47 - 44

افتتاحية العدد

تحقيق صحفي عن موقف علماء الصوفية من الحرب الإيرانية

تحقيق : أ. محمد المهدي

في ظل التوترات الإقليمية والدولية، تبرز الحرب الإيرانية ضد أمريكا وإسرائيل بوصفها إحدى أهم القضايا التي تهم العالم الإسلامي. وفي هذا التحقيق، نناقش مع عدد من علماء الصوفية موقفهم من الحرب الإيرانية وأبعادها المختلفة، بدءًا من تأييد إيران في حربها ضد الصهاينة، مرورًا بتحليل الهجمات الإيرانية على الدول العربية، وصولًا إلى استغلال الحرس الثوري الإيراني للرموز الإسلامية في حربه.

د. محمد زغلة: لا نلوم مهاجمة إيران لمصالح أمريكا وإسرائيل داخل الدول العربية

ذكر الدكتور محمد زغلة، أحد أقطاب طريقة العشيرة المحمدية بالقاهرة ومؤسس مدرسة الإمام الرائد، رؤيته في الحرب الدائرة حاليًا من الجانب الإيراني ضد أمريكا وإسرائيل، فقال: إن أيّ طرف يوجّه ضربات عسكرية ضد الدولة الإسرائيلية نؤيده دون النظر إلى أي خلافات مذهبية، مشيرًا إلى تأييده لدولة إيران في حربها على الكيان الصهيوني، لكونها دولة مسلمة، حتى وإن كان هناك خلاف عقائدي.

وأوضح "زغلة" موقفه من الهجمات الإيرانية على الدول العربية، بأن إيران تهاجم مصالح العدو، وهما أمريكا وإسرائيل، داخل الدول العربية، وهذا مسموح به، ولا يجعلنا نلوم الجانب الإيراني على هجماته؛ لأنه يوقف مصلحة عدوه في المنطقة. كما أرفض ضرب الدول العربية، لأننا كمصريين لدينا علاقات مشتركة، بالإضافة إلى أنهم امتداد للأمن القومي المصري .



وأكد الدكتور زغلة أن من يدعو بهلاك الطرفين، إسرائيل وإيران، فهو مخطئ، ومن هذا الباب كنا ندعو على تركيا، ولكن هذا من الأشياء الخاطئة؛ لأن السياسة لا عداوة فيها تدوم، ولا محبة تستمر إلى الأبد، وعدو الأمس قد يكون صديق اليوم، وهذا ما حدث مع مصر في الآونة الأخيرة بتحسين علاقاتها الخارجية مع دولتي قطر وتركيا.

"زغلة": خطبة العيد رسالة موجهة بتأييد الجانب المصري لإيران

واستكمل حديثه تجاه استغلال الحرس الثوري الإيراني عندما وضع صورة الشيخ حسين عبد الباري، خطيب صلاة العيد، على صواريخه، بعدما ردد خلال خطبته للعيد دعاءً جاء فيه: "اللهم يا رب فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، لا تجعل لمصر حاجة عند لئيم من خلقك". وقال "زغلة": إن هذا نظام كيد، وليس له معنى غير ذلك، معبرًا عن أن دعاء "عبد الباري" له أبعاد ورسائل سياسية، خاصة أن الخطبة جاءت في حضور الرئيس المصري، ومن المعتاد أنه قبل أي خطبة يتم مراجعتها كلمةً كلمةً من قبل أجهزة الدولة المختصة، قائلًا إن المقصود بها، من وجهة نظره، أنها رسالة موجهة بتأييد الجانب المصري لإيران.

واختتم حديثه بأن العرب مصدومون من موقف الجانب المصري؛ لأنهم كانوا يتوقعون أن نفعل كما فعلنا سابقًا في حرب الكويت واليمن و48، ولكننا الآن قارئون جيدون للماضي، وعلى من بدأ الحرب أن يوقفها.



د. يسري جبر: إيران وإسرائيل أفسدتا في الوطن العربي والإسلامي

بينما أكد الدكتور يسري جبر - أحد أقطاب الطريقة الصديقية الشاذلية - أنه يرى أن حرب إيران ضد أمريكا وإسرائيل بها الكثير من الأمور الملتبسة غير الواضحة والمعقدة، من حيث إن الموساد يتعاون مع اليهود في الباطن، بينما في الظاهر هم أعداء لبعضهم، كما قال الله تعالى: "تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى"، وربك يخلّص ناسًا من ناس. بينما إيران أفسدت في الوطن العربي وفي الإسلام مثلما أفسد اليهود، وكما قال الله تعالى: "لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ".

وأضاف "جبر" أننا علينا أن ننشغل بالدائرة التي أقامنا الله فيها، وألا ننشغل بالأحداث الجارية في هذه الحرب، ولنأخذ بقول سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دع شأن العامة، والتفت إلى ما ينفعك". وكما أقول في خطبة الجمعة وفي الدروس العلمية: إن الله أعلم بمن يصلح هذا الدين وينصره.

د. عطية مصطفى: الشيعة مسلمون وأنا ضد الصهاينة.. ووضع صورة "عبد الباري" على صواريخ إيران أفعال صبيانية

وأكد الدكتور عطية مصطفى - من علماء الطريقة الجعفرية - والأستاذ بجامعة الأزهر، أن ظلم الصهاينة واضح لكل الناس، وكما أعلن فضيلة الإمام الأكبر فإن الشيعة مسلمون موحدون بالله، وليس بين السنة والشيعة اختلاف إلا في الفروع، كما يوجد أيضًا اختلاف في الفروع بين أهل السنة. وكما قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: "ما يسرني أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة"، وهذا ما أخذه علماء الدين، بأن في الاختلاف رحمة، ولا توجد خصومة بيننا وبين الشيعة. كما أن الحرب دائرة بين إيران والصهاينة الظالمين مغتصبي الأرض، وليس اليهود أهل الكتاب الذين أحل الله لنا طعامهم والزواج بنسائهم، ولكنني ضد الصهاينة ومع الحق.



وقال "عطية"، خلال سؤاله عن موقفه تجاه الهجمات الإيرانية على الدول العربية، إنه ليس رجل سياسة، ولا يتطرق في حديثه إلى هذا الأمر، والأعلم بالرد على هذا السؤال هم المتخصصون.

وناقش "عطية" استغلال الحرس الثوري الإيراني عندما وضع على صواريخه صورة الشيخ حسين عبد الباري، خطيب صلاة العيد، عندما توسل بالسيدة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر الكامن فيها، وأوضح أن تلك الأفعال صبيانية ولا تستحق الرد عليها؛ لكونها هراء، وعندما وضعوا صورة الشيخ عبد الباري لم تتم أخذ موافقته على ذلك، وهو بريء من هذا الفعل، بينما من يتحدث عن ذلك هم فئة قليلة من الخلايا النائمة، التي لا تريد أن تعود لمصر مكانتها، وهم لديهم حزن من "عبد الباري" لأنه توسل في دعائه بالسيدة فاطمة الزهراء، ولكن ليس هذا هو السبب، بل الحقيقة أنهم يكرهون أنفسهم، ويكرهون أي صوت للحق، حتى لو كان الشيخ قارئًا لسورة الرحمن لانتقدوه من أجل النقد.



مضيفًا بأن الدولة المصرية متماسكة، وعافانا الله مما ابتلي به غيرنا من دول الجوار التي عمّ بها الفوضى والخراب، وهذا بسبب القيادة الحكيمة التي تدير البلاد ولا تنجرف لأي من الأطراف.

أبو العزائم: إيران تدافع عن نفسها.. والاتحاد معها قوة

وأبدى الدكتور علاء أبو العزائم، شيخ الطريقة العزمية ورئيس اتحاد الطرق الصوفية، رأيه تجاه الحرب الدائرة مع إيران ضد إسرائيل وأمريكا، قائلًا: إننا يجب أن نتحد مع الدولة الإيرانية، واصفًا إياها بأنها دولة قوية تصدت للكيان الصهيوني وجعلتهم يتراجعون عن خطوات عديدة خلال حربهم، مشيرًا إلى أن السنة والشيعة إخوة، وجميعنا مسلمون، فلا داعي للتفرقة، مستندًا إلى أن الاختلاف بيننا وبين الشيعة نسبة 5% في الفروع وليس في أصول الدين، فهل من العقل أن أكره أخي المسلم الشيعي لأجل هذه النسبة الضئيلة في فروع الدين؟

واختتم "أبو العزائم" حديثه بأن إيران تدافع عن نفسها، كاشفًا رفضه التام للعدوان على دولة إيران، وناصحًا دولتي أمريكا وإسرائيل بإيقاف هذه الحرب؛ لأنها ستلحق بهما خسائر فادحة، وتظهرهما للعوام بأنهما مهزأتان للمرة الثانية

قاموس المصطلحات

ختم الأولياء ... تطور نظرية تفضيل الولي على النبي .. عرض لأقوال أعلام التصوف الفلسفي

د. محمد أبو عمر

هذه ورقة تعرض بالترتيب الزمني تطور نظرية "ختم الأولياء" التي تفضل الولي على النبي، بدءاً من الحكيم الترمذي في القرن الثالث الهجري، ثم تطورها على يد ابن عربي في القرن السابع، وصولاً إلى أتباعه من بعده. تعتمد الورقة على نصوص هؤلاء أعلام التصوف الفلسفي كما وردت في مصادرهم الأصلية.

أولاً: الترمذي... واضع اللبنة الأولى (ت 285هـ)



أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم هو أول من ألف كتاباً خاصاً عن ختم الأولياء سماه "ختم الولاية"، وكان هذا الكتاب سبباً في نفيه من مدينته ترمذ.

أهم أقواله:

جعل لخاتم الأولياء مقاماً يشبه مقام خاتم الأنبياء: "أو ليس كائناً في آخر الزمان من له ختم الولاية؟ وهو حجة الله على جميع الأولياء يوم الموقف؟ فكما أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، فأعطى ختم النبوة وهو حجة الله على جميع الأنبياء، فكذلك هذا الولي آخر الأولياء في آخر الزمان" (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج11، ص 363).

جعل له شفاعة وسيادة على الأولياء: "هذا الولي خاتم الأولياء، ساد الأولياء كما ساد محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء، فينصب له مقام الشفاعة، ويثنى على الله ثناء، ويحمده بمحامد يقر الأولياء بفضله عليهم في العلم بالله... فهو في كل مكان أول الأولياء، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم أول الأنبياء" (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج11، ص 364).

ثانياً: ابن عربي... مؤسس الرؤية الفلسفية (ت 638هـ)

جاء محيي الدين بن عربي بعد الترمذي بثلاثة قرون، فأخذ فكرة ختم الولاية وطورها وأضاف إليها أبعاداً فلسفية، وصرح بأقوال أكثر خطورة.

1. الولي فوق النبي والرسول

يقول ابن عربي بصراحة: "الولي فوق النبي أو الرسول" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 89).

ويجعل النبوة مجرد جزء من الولاية: "النبوة والرسالة هي خصوص رتبة في الولاية على بعض ما تحوي عليه الولاية من المراتب" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة هودية، ص 122).

2. تقسيم النبوة إلى درجتين

يقسم ابن عربي النبوة إلى درجتين، ويجعل الولاية هي الدرجة العليا: "فالنبوة درجتان؛ إحداهما دنيا: وهي الرسالة التي تختص في العلم بالشريعة، والأخرى: هي الولاية؛ التي تفوق الأولى درجة ومكانة" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة شيثية، ص 67).

المصادر:

- ابن تيمية، كتاب الاستغاثة في الرد على البكري، ص 239 (موضع تقرير نوعي الاستغاثة المنفية).
- محمد بن عبد الله المقشي، المجموع الثمين في حكم دعاء غير رب العالمين، ص 9 (نقل وصية عبد القادر الجيلاني في توحيد الطلب والاعتماد).

ويؤكد: "للنبوة درجتين، إحداهما دنيا، وهي الرسالة التي تختص في العلم بالشريعة. والأخرى هي الولاية التي تفوق الأولى منزلة ومكانة" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 215).

3. خاتم الأولياء واسطة بين الله والأنبياء

يذهب ابن عربي إلى أن خاتم الأولياء هو المصدر الذي يستمد منه الأنبياء: "الرسل لا تشهد العلم إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة - أي نبوة التشريع ورسالته - ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون - مع كونهم أولياء - لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 328).

ويؤكد: "الأنبياء لا ينالون الولاية إلا بواسطة خاتم الأولياء، فإنه الواسطة بين الحق والخلق في إفاضة العلوم الإلهية" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة محمدية، ص 217).

4. ادعاء ابن عربي ختم الولاية لنفسه

يشير ابن عربي إلى أنه هو خاتم الأولياء في أبياته:

"أنا ختم الولاية دون شك ... لورثي الهاشمي مع المسيح
كما أني أبو بكر عتيق ... أجاهد كلّ ذي جسم وروح"
(ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 7).

ويقول نثراً: "وأما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب، ومن أكرمها أصلاً وبدءاً، وهو في زماننا اليوم موجود، عرّفت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة 'فاس' حتى رأيت ختم الولاية عنه" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 329).

5. المبررات التي ذكرها لتفضيل الولي على النبي

يقدم ابن عربي عدة تعليلات:

الجهة الحقانية والخلقية: "مرتبة الولاية والمعرفة لها جهة حقانية، وبالتالي فهي أبدية ودائمة الوجود، ومرتبة الرسالة لها جهة خلقية، لذا فهي منقطعة غير أبدية، إذ تنقطع بالتبليغ، والفضل للدائم الباقي" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 134)

و"الولاية متعلقة بالآخرة، بينما تتعلق الثانية بالنشأة الأولى الدنيوية" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 135).

الرسل أولياء عارفون أرفع: "الرسل كأولياء عارفين، هم أرفع من كونهم رسلاً. فالولاية والمعرفة تجعلهم في بساط المشاهدة في الحضرة المقدسة. في حين أن الرسالة تنزلهم إلى العالم الأضيق" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة موسوية، ص 198).

الولاية صفة إلهية: "الولي هو صفة من صفات الله... ولم يرد من صفاته النبي أو النبوة، ولهذا انقطعت النبوة والرسالة ولم تنقطع الولاية" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 312).

الولاية أعم: "للولاية من الشمول؛ بحيث أن من درجاتها النبوة والرسالة" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة محمدية، ص 215).

6. اكتساب النبوة

يطرح ابن عربي فكرة أن النبوة يمكن اكتسابها: "النبوة مقام يعطى للنبي المشرع كما يعطى لغيره من التابعين الذين يجرون على سنته. وهو باتباعه يكون قد أخذ النبوة بالاكتساب" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 245).

ويصف بعض الأولياء بأنهم "أنبياء الأولياء" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 246)، ويزعم "أنهم يسمعون الوحي (جبريل) ويسألون النبي ويصححون الأخبار" (ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص 247).

7. ولاية النبي

يخلص إلى أن "ولاية النبي محمد هي أكمل وأتم وأعظم من نبوته ورسالته وتشريعه" (ابن عربي، فصوص الحكم، فصل في كلمة محمدية، ص 214)، لأن "الولاية هي باطن النبوة" (ابن عربي، فصوص الحكم، ص 215).

ثالثاً: القونوي... محاولة التبرير (ت 673هـ)

صدر الدين القونوي، تلميذ ابن عربي، حاول تبرير هذه الأفكار: "إن النبي من حيث كونه ولياً أفضل منه من حيث كونه نبيّاً، لأن الولاية وجهته إلى الحق، والنبوة وجهته إلى الخلق. ولا يلزم من ذلك ما ظن من المحذور، لأنه إنما كان يلزم تفضيل الولي على النبي لو وجد نبي غير ولي، وهذا لا يوجد، فالنبي فيه الولاية وزيادة النبوة، فهو أجل مقاماً وأسنى قدراً" (القونوي، إعجاز البيان في تفسير أم القرآن، ص 234).

رابعاً: الآملي... القشر واللب والدهن (ت بعد 787هـ)

حيدر الآملي صاغ المراتب الثلاث بصورة تشبيهية: "حيث أن لها ظاهراً وباطناً وباطن الباطن، أي أن لها قشراً ولباً ودهناً، فالقشر هو الرسالة، واللب هو النبوة، والدهن هو الولاية، وأن الأخيرة هي باطن النبوة، وأن النبوة هي باطن الرسالة" (الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص 345).

ويؤكد أن "أعظم هذه المراتب الثلاث هي الولاية ثم النبوة ثم الرسالة، تبعاً لغور الباطن" (الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص 346).

ثم يقارن: الشريعة دون الطريقة، والطريقة دون الحقيقة، والوحي دون الإلهام، والإلهام دون الكشف (الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص 347).

خامساً: الجيلي... ولاية النبي أفضل من نبوته (ت 832هـ)

عبد الكريم الجيلي يقول: "ولا ولاية أعظم من ولايته - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لما اتفق عليه الجمهور أن كل نبي ولي وكل رسول نبي ولا عكس... ولهذا قال المحققون: إن الولاية أفضل من النبوة يريدون بذلك في الرجل الواحد، يعني أن ولاية النبي أفضل من نبوته" (الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، ص 156).

ويضيف: "فالولاية عبارة عن الوجه الإلهي للنبي، والرسالة عبارة عن الوجه الذي بين النبي وبين الرسول" (الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، ص 157).

سادساً: ابن سبعين... موقف متطرف (ت 667هـ)

نقل الذهبي عن ابن سبعين قوله: "لقد تحجّر ابن آمنة واسعاً بقوله: لا نبي من بعدي" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 340). وعلق الذهبي: "إنْ كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به عن الإسلام" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 340).

المصادر :

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد. مجموع الفتاوى. (ج11، ص 363-366)
- ابن عربي، محيي الدين. الفتوحات المكية. (ج1، ص 7؛ ج2، ص 89، 134، 135، 136، 137، 245، 246، 247؛ ج3، ص 215، 312، 328، 329، 330)
- ابن عربي، محيي الدين. فصوص الحكم. تحقيق: أبو العلا عفيفي. (فصل في كلمة هودية، ص 122؛ فصل في كلمة شيثية، ص 67؛ فصل في كلمة موسوية، ص 198؛ فصل في كلمة محمدية، ص 214، 215، 217)
- الآملي، حيدر. جامع الأسرار ومنبع الأنوار. (ص 345، 346، 347)
- الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم. الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية. (ص 156، 157)
- القونوي، صدر الدين. إعجاز البيان في تفسير أم القرآن. (ص 234)
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. (ج17، ص 340)

الإمام عبد القادر الجيلاني: سلطان الأولياء ومجدد علوم الشريعة

الشيخ محمد البهناوي

المولد والبيئة العلمية

ولد الإمام أبو صالح محيي الدين عبد القادر بن موسى الجيلاني في إقليم "جيلان" (عام 470 هـ)، في بيئة عرفت بالصلاح والتقوى. شد الرحال إلى بغداد، حواضر العلم آنذاك، وهو في الثامنة عشرة من عمره، فتتلمذ على كبار شيوخها في النحو، واللغة، والفقه، والحديث. برع في المذهب الحنبلي حتى صار من أساطينه، وجمع بين قوة الحجة اللغوية وبين التبحر في المعقول والمنقول، مما هيأه ليكون معلماً ومربياً تضرب إليه الأمثال.

المكانة العلمية واللغوية

لم يكن الشيخ مجرد واعظ، بل كان عالماً لغوياً مفوهاً؛ ويظهر ذلك جلياً في كتابه "الفتح الرباني" الذي يعد نموذجاً للبيان العربي الرصين. امتازت دروسه بالدقة النحوية والقدرة على توظيف اللغة في تقريب المقاصد الشرعية، وكان مجلسه في بغداد يضم آلاف الطلاب وعلماء اللغة الذين كانوا يستمعون إليه وهو يفتي على مذهبي الإمام أحمد والإمام الشافعي، مما يعكس مرونة لسانية وفقهية نادرة.



أثنى كبار الأعلام تاريخياً على جلالة قدر الشيخ؛ فقد وصفه الإمام الذهبي بأنه "الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء"، ونقل ابن كثير في "البداية والنهاية" تفرد الشيخ في وقته وصدق لهجته. كما خصه ابن تيمية بتقدير عالٍ واعتبره من "مشايخ أهل الاستقامة"، بل وشرح بعض كلامه في "فتوح الغيب" مدافعاً عنه ضد من اتهمه بالشطح. وسار ابن حجر العسقلاني على نهج تعظيمه كإمام من أئمة العلم والسلوك.

وفي المقابل، نجد تقديراً بالغاً من أقطاب التصوف كـ الشعراني ويوسف النبهاني، اللذين اعتبرا طريقته "أصل الطرق" وبالغا في وصف كراماته ومقامه الغوثي. وفي العصر الحديث، برز الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي مدافعاً صلباً عن الجيلاني، معتبراً إياه حصناً للشريعة ومجدداً روحياً، وداعياً للتفرقة بين شخصية الشيخ الورعة وبين ما قد ينسبه إليه بعض الجهلة.

أما مدرسة الحديث المعاصرة، ممثلة في الأئمة ابن باز والألباني وابن عثيمين، فقد كان موقفهم قائماً على التفصيل؛ حيث أثنوا على الجيلاني كعالم حنبلي سلفي العقيدة في أصله، مؤكدين أن ما في كتابه "الغنية" من إثبات الصفات هو الحق. لكنهم انتقدوا بشدة "الطريقة القادرية" المعاصرة وما شابها من غلو في شخص الشيخ يصل حد الاستغاثة به، واعتبروا ذلك مخالفاً لتوحيد الألوهية ولنهج الشيخ نفسه الذي كان يشدد على عرض كل "حال" على ميزان الكتاب والسنة.

الخلاصة

يبقى الإمام عبد القادر الجيلاني رمزاً للتكامل بين "العلم والسلوك"؛ فالرجل الذي ملأ الدنيا بعلمه لم يخرج يوماً عن دائرة الدليل الشرعي، وما وقع من خلاف حوله إنما يعود لتصرفات الأتباع أو الغلو في النقل، بينما تظل سيرته العلمية واللغوية نبراساً للباحثين عن الأصالة في الفكر الإسلامي.

إحصائيات وتحليلات

التحول الرقمي للطرق والمؤسسات الصوفية: من الخطاب الوعظي إلى البنية المنصاتية

أ. عبد الله زيدان

لم يعد حضور الطرق والمؤسسات الصوفية محصورًا في الزوايا والمواسم والمجالس الحضورية، بل دخل طورًا جديدًا يمكن وصفه بمرحلة "التمدد المنصّاتي"؛ أي انتقال الفاعل الصوفي من المجال الوعظي التقليدي إلى المجال الرقمي المتعدد الأدوات: موقع ويب، قناة مرئية، بث مباشر، تطبيقات هاتفية، صفحات اجتماعية، وإذاعات أو قنوات متخصصة. ولم يعد السؤال: هل دخلت الصوفية إلى العالم الرقمي؟ بل: أيُّ نموذج صوفي نجح في إعادة بناء نفسه رقميًا، وأيُّ نموذج اكتفى بحضور رمزي أو تعريفي؟



منهج الرصد والعينة

اعتمد هذا الرصد على عينة ممثلة من المؤسسات والكيانات الصوفية أو ذات الجذور الصوفية الواضحة في العالم العربي وآسيا وإفريقيا والفضاء الغربي، وشملت: "مؤسسة طابة"، و"منتدى أبوظبي للسلم"، و"منهاج القرآن/منهاج تي في"، و"الطريقة النقشبندية الحقانية عبر Naqshbandi.org، و SufiLiveg، NurMuhammad.com، Muhammadan Way، و"Ashraf-e-Simna Academy / Sufi Channel في الهند، وTijjaniyya TV في غانا. وقد جرى تحليل أربعة مستويات:

أولًا: البنية الرقمية الرسمية للموقع.

ثانيًا: التوسع عبر التطبيقات.

ثالثًا: القوة الجماهيرية على المنصات الاجتماعية.

رابعًا: طبيعة التفاعل، وهل هو معرفي نخبوي، أم دعوي جماهيري، أم مجتمعي محلي .

أولًا: النموذج المعرفي النخبوي

1) مؤسسة طابة: حضور مؤسسي قوي وتفاعل جماهيري متوسط

تكشف البنية الرقمية لمؤسسة طابة عن نموذج مؤسسي منضبط، لا يعتمد على شخصية دعوية واحدة بقدر ما يعتمد على "الهيكل المعرفي": موقع رسمي، مبادرات، محتوى بحثي، فعاليات، وروابط إلى المنصات الاجتماعية. وهذا يعني أن المؤسسة تتحرك بمنطق "المنظومة الرقمية" لا بمنطق "الواعظ الرقمي". وتُظهر بيانات الرصد أن قناة المؤسسة على يوتيوب تسجل نحو "10.3 آلاف مشترك"، بينما تملك حضورًا نشطًا على فيسبوك، وإن كان أثرها الجماهيري أقل بكثير من الشبكات الدعوية الجنوب آسيوية. ومن ثمّ، فإن طابة تمثل نموذجًا عربيًا نخبويًا يهتم بالشرعية المعرفية والرصانة المؤسسية أكثر من اهتمامه بصناعة جمهور ضخم سريع التداول.

2) منتدى أبوظبي للسلم: ثقل معرفي أكبر من الكتلة الاجتماعية

يقترب منتدى أبوظبي للسلم من نموذج طابة، لكنه أكثر اتصالًا بالمؤتمرات الدولية والإصدارات الفكرية. وتكشف بيانات الرصد عن مفارقة لافتة: فالحضور المؤسسي للمنتدى كبير، لكن تجميع الجمهور رقميًا ما يزال دون وزن المؤسسة الرمزي. إذ تسجل القناة الرسمية على يوتيوب نحو "1.8 ألف مشترك"، والحساب الرسمي على إنستغرام نحو "1.9 ألف متابع"، بينما تظهر صفحة قديمة مرتبطة بالاسم السابق للمنتدى بنحو "33.4 ألف إعجاب"، في حين تسجل الصفحة الأحدث قرابة "1.4-1.5 ألف إعجاب" فقط. وهذا يوحي بأن المنتدى قوي في المجال المؤتمري والإصداري، لكنه أقل نجاحًا في تحويل هذا الثقل إلى كتلة تفاعل اجتماعي موحّدة على المنصات.

ثانيًا: النموذج الدعوي الجماهيري متعدد الوسائط

3) منهاج القرآن: من الويب إلى التطبيق إلى الجمهور المليوني

تمثل شبكة "منهاج القرآن / Minhaj TV" واحدًا من أوضح النماذج على التحول الرقمي المؤسسي الكامل. فموقع Minhaj.tv لا يقدّم فقط فيديوهات، بل يبني فضاءً متكاملًا يشمل البث الحي، وفهارس للخطب، وتصنيفات موضوعية، وروابط مباشرة للتطبيقات، وتكاملًا مع الشبكات الاجتماعية الرسمية. وتكشف البيانات أن الصفحة الرسمية على فيسبوك تقارب "مليون متابع" ، بينما تسجل القناة الرسمية على يوتيوب نحو "138 ألف مشترك". وعلى مستوى التطبيقات، يظهر التطبيق الرسمي لـ Minhaj TV، إلى جانب تطبيقات أخرى ضمن المنظومة مثل "Irfan-ul-Quran" بأكثر من "100 ألف تنزيل"، و"Minhaj Books" بأكثر من "100 ألف تنزيل"، و"Minhaj365" بأكثر من "10 آلاف تنزيل". وهذه الأرقام تدل على أن هذه الشبكة لم تعد تستخدم الإنترنت مجرد وسيلة نشر، بل حولته إلى "بنية دعوية تعليمية مستمرة".

4) النقشبندية الحقانية: الزاوية المباشرة في صورة بث حي

تُظهر منصة "SufiLive" مع موقع "Naqshbandi.org" نموذجًا مختلفًا؛ إذ لا يقتصر الحضور الرقمي هنا على الأرشفة، بل يتجه إلى "استمرار الوظيفة الروحية للمجلس الصوفي عبر البث". فالموقع يضم البث الحي، والدروس، والذكر، والحضرة، والخطب، واللقاءات، وسلاسل زمنية حديثة تمتد إلى جولات 2025 و2026. وعلى مستوى التفاعل، تسجل قناة SufiLive على يوتيوب نحو "133 ألف مشترك"، وصفحتها على فيسبوك نحو "69.2 ألف إعجاب"، وحسابها على إنستغرام نحو "64.8 ألف متابع". وهذا يعني أن النقشبندية الرقمية تقدم نموذجًا وسطًا بين التعليم الروحي المؤرشف والحضور المجتمعي الحي، مع جمهور متوسط الحجم لكنه مستمر وعابر للحدود.

5) Muhammadan Way: أقوى نموذج جماهيري في العينة

إذا كان ثمة نموذج يتصدر العينة من حيث القوة الجماهيرية الخالصة، فهو "Muhammadan Way NurMuhammad.com". فالمنصة تجمع بين الموقع، والتطبيق، ويوتيوب، وساوندكلاود، والبودكاست، وروابط البث الدائم، بما في ذلك صفحات "Sufi TV 7/24" و"Sufi Radio 7/24". ويظهر التطبيق الرسمي على Google Play بأكثر من "100 ألف تنزيل"، في حين تسجل القناة الرسمية "2.06 مليون مشترك" على يوتيوب، وهو أعلى رقم في العينة كلها. وتكشف هذه البنية أن قوة النموذج لا تقوم فقط على المؤسسة، بل على "الشخصية المركزية" التي تتحول إلى محور شبكي يجذب جمهورًا عالميًا واسعًا. ولهذا يمكن القول إن هذا النموذج نجح في تحويل التصوف الرقمي من محتوى وعظي إلى "اقتصاد انتباه عالمي" قائم بذاته.

ثالثًا: النموذج المحلي الاجتماعي

6) Ashraf-e-Simna Academy / Sufi Channel: حضور محلي مستقر

في الهند، تقدم "Ashraf-e-Simna Academy" عبر "Sufi Channel" نموذجًا محليًا أكثر من كونه نموذجًا عابرًا للقارات. فالموقع يربط بين المؤسسة التعليمية والهوية الطرقية الأشرفية، بينما تشتغل القناة الرقمية بوصفها امتدادًا للمجالس والمؤتمرات المحلية. وتُظهر بيانات الرصد أن قناة Sufi Channel على يوتيوب تسجل نحو "12.5 ألف مشترك"، وصفحتها على فيسبوك نحو "5.1 آلاف إعجاب". ورغم أن هذه الأرقام أقل من الشبكات الكبرى، فإنها تكشف عن قاعدة متفاعلة تكفي لإدامة حضور رقمي حي مرتبط بالمجتمع المحلي والوظائف التعليمية والإرشادية المباشرة.

7) Tijjaniyya TV: تفوق فيسبوك على يوتيوب في البيئة الإفريقية

أما في غرب إفريقيا، فإن "Tijjaniyya TV" تكشف عن نمط مختلف؛ إذ يبدو أن فيسبوك هو الوسيط الأقوى، لا يوتيوب. فالقناة على يوتيوب تسجل نحو "2.96 ألف مشترك"، بينما تسجل الصفحة على فيسبوك نحو "66.4 ألف إعجاب"، مع أكثر من "7.3 آلاف" حساب "يتحدث عنها" في لحظة الرصد. وهذه فجوة لافتة؛ لأنها تدل على أن المنصة الأكثر فاعلية في البيئات الصوفية الإفريقية ليست دائمًا المنصة المرئية الأكبر عالميًا، بل المنصة الأكثر تجذرًا في الممارسة المجتمعية اليومية. ومن ثمّ، فإن قياس النجاح الرقمي الصوفي لا ينبغي أن يُختزل في يوتيوب وحده، بل يجب أن يُربط بالسياق المحلي وتقاليد الاستهلاك الإعلامي فيه.

قراءة إحصائية جامعة

إذا جُمعت المؤشرات الرئيسة للعينة، فإن القنوات اليوتيوبية الرسمية المرصودة هنا تتجاوز "2.35 مليون مشترك"، ويأتي النصيب الأكبر من ذلك لصالح "Muhammadan Way"، ثم "Minhaj TV" و"SufiLive". أما على فيسبوك، فتتجاوز الصفحات الرسمية المرصودة في هذه العينة "1.17 مليون إعجاب" على الأقل من الصفحات التي أمكن رصدها بأرقام ظاهرة بوضوح، وذلك دون احتساب بعض الصفحات التي تعذر تثبيت أرقامها بدقة كافية في لحظة الرصد. وعلى مستوى التطبيقات، تسجل المنظومات الرسمية الظاهرة في العينة ما لا يقل عن "420 ألف تنزيل" على Google Play؛ إذ تتجاوز تطبيقات منهاج القرآن وحدها "210 آلاف تنزيل"، بينما يتجاوز تطبيق "Muhammadan Way 100 ألف"، مع وجود تطبيقات صوفية أخرى أصغر أو محلية لا تظهر بقيم تنزيل كبيرة. وهذه الأرقام تكفي للقول إن التحول الرقمي الصوفي لم يعد رمزيًا أو هامشيًا، بل صار "بنية اتصالية فعلية" لها جمهور واستمرارية وأدوات متعددة.

دلالات التحول الرقمي الصوفي

تكشف العينة عن ثلاث نتائج تحليلية أساسية.

"أولًا": أن المؤسسات العربية الكبرى مثل طابة ومنتدى أبوظبي للسلم تميل إلى "الحضور المعرفي النخبوي" أكثر من الميل إلى الجماهيرية الرقمية الواسعة.

"ثانيًا": أن الشبكات الجنوب آسيوية والمرتبطة بالشخصيات الدعوية الصوفية طورت نموذجًا أكثر فاعلية في "تحويل الجمهور إلى مجتمع رقمي دائم التفاعل" عبر التطبيقات والبث الحي والوسائط المتعددة.

"ثالثًا": أن بعض البيئات الإفريقية والهندية تكشف عن استمرار قوة "المنصات الاجتماعية المحلية"، خاصة فيسبوك، بوصفها الحاضن الأقرب للجمهور، حتى إذا بقي يوتيوب أقل أثرًا. وهذا يعني أن "التصوف الرقمي" ليس قالبًا واحدًا، بل عوالم متعددة تتكيف مع الجغرافيا، واللغة، ونمط التدين، وبنية المؤسسة نفسها.

خاتمة

أن التحول الرقمي للطرق والمؤسسات الصوفية لم يعد مجرد انتقال تقني من المنبر إلى الشاشة، بل هو "إعادة تعريف للسلطة الرمزية الصوفية نفسها". فالمؤسسة التي كانت تقيس حضورها بعدد المريدين والزوايا، أصبحت تقاس أيضًا بعدد المشتركين والتنزيلات والبثوث الحية وسعة الانتشار الشبكي. غير أن هذا التحول لم يلغِ الفوارق بين النماذج؛ فبعضها دخل العالم الرقمي بعقلية الأرشيف، وبعضها بعقلية المنصة، وبعضها بعقلية المجتمع المتفاعل. ومن هنا، فإن دراسة الصوفية الرقمية لا ينبغي أن تكتفي بوصف الحضور على الشبكة، بل يجب أن تسأل: من الذي يملك الجمهور؟ ومن الذي يملك المنصة؟ ومن الذي نجح في تحويل التراث الروحي إلى بنية رقمية مستدامة؟

المصادر:

- "مؤسسة طابة" - Tabah Foundation `https://www.tabahfoundation.org/en/`
- "فيسبوك"-2 Tabah Foundation مؤسسة طابة `https://www.facebook.com/tabahfoundation/`
- "يوتيوب"-3 Tabah Foundation `https://www.youtube.com/tabahfoundation`
- "مبادرات طابة"-4 Events `https://tabahinitiatives.org/en/events/`
- "المنتدى الاقتصادي العالمي"-5 Abu Dhabi Forum for Peace `https://www.weforum.org/organizations/abu-dhabi-forum-for-peace/`
- "وكالة أنباء الإمارات"-6 إصدار "إعلان أبوظبي للمواطنة الشاملة" في ختام الملتقى الثامن لمنتدى تعزيز السلم 2021 `https://www.wam.ae/ar/article/hszrdpnm-%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%B1-%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D9%88%D8%B8%D8%A8%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%85%D9%84%D8%A9-%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%89%`
- "منتدى أبوظبي للسلم"-7 مجلة السلام `https://forumforpeace.net/peace`
- "يوتيوب"-8 Abu Dhabi Forum for Peace منتدى أبوظبي للسلم `https://www.youtube.com/@adpeaceforum`
- "فيسبوك"-9 منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة. Abu Dhabi Forum for Peace `https://www.facebook.com/ppeaceims/`
- "فيسبوك"-10 Abu Dhabi Forum for Peace منتدى أبوظبي للسلم `https://www.facebook.com/adpeaceforum/`
- "إنستغرام"-11 Abu Dhabi Forum for Peace `https://www.instagram.com/adpeaceforum/`
- "منهاج تي في"-12 Minhaj.TV by Minhaj-ul-Quran International `https://www.minhaj.tv/`
- "يوتيوب"-13 Minhaj TV `https://www.youtube.com/minhajtvofficial`
- "فيسبوك"-14 [Minhaj TV [Official `https://www.facebook.com/Official.Minhaj.TV/`
- "جوجل بلاي"-15 Minhaj TV `https://play.google.com/store/apps/details?id=tv.minhaj`
- "جوجل بلاي"-16 Irfan-ul-Quran - عرفان القرآن `https://play.google.com/store/apps/details?id=com.irfan_ul_quran.android`
- "جوجل بلاي"-17 Minhaj Books - من اج ب س `https://play.google.com/store/apps/details?id=com.mqi.minhajbooks`
- "جوجل بلاي"-18 Minhaj365 by Minhaj-ul-Quran `https://play.google.com/store/apps/details?id=org.minhaj.vision`
- "الطريقة النقشبندية"-19 Naqshbandi | Sufi Way `https://naqshbandi.org/`
- "يوتيوب"-20 SufiLive `https://www.youtube.com/sufilive`
- "فيسبوك"-21 SufiLive.com `https://www.facebook.com/Sufilive/`
- "إنستغرام"-22 SufiLive `https://www.instagram.com/sufilive/`
- "نور محمد"-23 Sufi Radio 7/Sufi TV / 24 7/24 `https://nurmuhammad.com/urdu-sufi-tv-24-7/-urdu-sufi-radio-durood-sharif-quran-and-islamic-teachings-24/`
- "جوجل بلاي"-24 Muhammadan Way `https://play.google.com/store/apps/details?id=com.nurmuhammad.muhammadanway`
- "يوتيوب"-25 The Muhammadan Way Sufi Realities `https://www.youtube.com/channel/UC4E8QX7OgwYDgyuuXTBMrcg`
- "أشرف السّمنا أكاديمي"-26 Ashraf-e-Simna Academy `https://www.ashrafesimna.org/`
- "يوتيوب"-27 Sufi Channel `https://www.youtube.com/channel/UCR-T50ir1MZcYJcWXKjYpUQ`
- "فيسبوك"-28 Sufi Channel `https://www.facebook.com/LiveSufiChannel/`
- "أشرف السّمنا أكاديمي"-29 About page `https://www.ashrafesimna.org/a1270546938.php`
- "SUFI TV / Radio" -30 App listing / description `https://sufi-tv-radio.soft112.com/`
- "يوتيوب"-31 Tijjaniyya TV `https://www.youtube.com/channel/UC-sOfAVWftiiRfF3ynbTnHw`
- "فيسبوك"-32 Tijjaniyya TV | Kumasi `https://www.facebook.com/p/Tijjaniyya-TV-100057511597228/`
- "ذا ناشيونال"-33 New TV channel to give Sufism a voice `https://www.thenationalnews.com/world/africa/new-tv-channel-to-give-sufism-a-voice-1.510076`

متابعة اخبارية للطرق الصوفية حول العالم و التعليـــــق عليهـــــا



لجنة الرصد والمتابعة في مجلة مدارك

عنوان الخبر:

مصر: الطرق الصوفية في شمال سيناء تحيي أول ليلة من رمضان بمجالس الذكر والإنشاد

مصدر الخبر:

اليوم السابع

تاريخ الخبر:

19 فبراير 2026

الرابط:

https://www.youm7.com/story/2026/2/19/الطرق-الصوفية-في-سيناء-تحيي-أول-ليلة-من-رمضان-بالذكر/7310146

ملخص الخبر:

أفاد التقرير بأن الطريقة العلاوية في شمال سيناء أحيت أول ليلة من رمضان عبر مجالس للذكر وتلاوة القرآن والمديح النبوي، مع حضور محلي لافت، وربط الخبر بين هذه المجالس وبين استقبال الشهر باعتباره موسمًا للصفاء الروحي والتقليل من الطعام والكلام والانشغال بالطاعة.

التعليق على الخبر:

إحياء رمضان بالقرآن والذكر والموعظة من حيث الأصل من أعمال الخير، لكن الميزان الشرعي يقتضي أن يبقى الذكر منضبطًا بالسنة، بعيدًا عن المحدثات، وأن لا تتحول المجالس الروحية إلى شعائر مخصوصة لم يثبت بها دليل.

عنوان الخبر:

مصر: "الحضرة" تحضر في أمسيات رمضان بدار الأوبرا المصرية

مصدر الخبر:

دار الأوبرا المصرية

تاريخ الخبر:

5 مارس 2026

الرابط:

https://www.cairoopera.org/en/calendar/ramadan-evenings-5-3/

ملخص الخبر:

نشرت دار الأوبرا المصرية ضمن برنامج "Ramadan Evenings" فعالية لفرقة "الحضرة المصرية" يوم 5 مارس 2026 على المسرح المكشوف، بما يعكس استمرار إدماج الإنشاد ذي الخلفية الصوفية في الفضاء الثقافي الرسمي خلال شهر رمضان، لا بوصفه نشاطًا طرقيًا داخليًا فقط بل بوصفه مادة فنية عامة موجهة لجمهور أوسع.

التعليق على الخبر:

هذا المثال يكشف انتقال جزء من الخطاب الصوفي من الزاوية إلى المؤسسة الثقافية العامة، وهو انتقال يستحق الرصد؛ لأن تحويل الرموز الروحية إلى عروض جماهيرية يغيّر طبيعة التلقي ووظيفة الخطاب.

عنوان الخبر:

الهند: تقليد رمضاني مستمر منذ أربعين عامًا لإطعام الصائمين عبر "سوفيدار تراست" في تشيناي

مصدر الخبر:

Deccan Herald

تاريخ الخبر:

2 مارس 2026

الرابط:

https://www.deccanherald.com/india/tamil-nadu/a-40-year-tradition-sindhi-businessmen-offer-iftar-meal-to-fasting-muslims-in-chennai-3917773

ملخص الخبر:

أفاد التقرير بأن "Sufidar Trust" يواصل في تشيناي تقليدًا عمره نحو أربعين سنة بتقديم وجبة إفطار نباتية يومية لنحو ألف إلى ألف ومئة صائم في مسجد "Walajah Big Mosque"، بما يجعل العمل الخيري الرمضاني أحد أبرز وجوه النشاط المرتبط بمؤسسة تحمل هوية صوفية في الاسم والامتداد الاجتماعي.

التعليق على الخبر:

إطعام الصائمين باب جليل من أبواب البر، وهو من الأعمال التي يُثنى عليها إذا خلصت لله وسلمت من التوظيف الرمزي الذي يذيب الفوارق بين المشروع والمبتدع.

عنوان الخبر:

باكستان: "منهاج القرآن" تواصل دروس رمضان وتربط الخطاب الأسري بالبناء المجتمعي

مصدر الخبر:

Minhaj TV / منهاج تي في

تاريخ الخبر:

3 مارس 2026

الرابط:

https://www.minhaj.tv/english/tid/62078/Strong-Families-Are-the-Foundation-of-a-Strong-Society-Allama-Rana-Idrees.html

ملخص الخبر:

نشرت منصة "منهاج تي في" خبرًا عن الجلسة الثانية عشرة من دروس "عرفان القرآن" الرمضانية التي تنظّمها "منهاج القرآن" في غوجرات بباكستان، حيث تناولت المحاضرة دور الزوجين في بناء الأسرة والمجتمع، مع الإشارة إلى حضور واسع من الرجال والنساء وفعاليات رمضانية متواصلة طوال الشهر. ويعكس ذلك نمطًا من المؤسسية الصوفية/الدعوية التي توظف رمضان في التعليم الاجتماعي المنظّم لا في الوعظ العابر فحسب.

التعليق على الخبر:

الخبر يكشف تطور بعض المؤسسات ذات الخلفية الصوفية إلى شبكات تربوية وإعلامية حديثة، وهو تطور يحتاج إلى قراءة مزدوجة: من جهة البنية المؤسسية، ومن جهة مضمون الخطاب وموافقته للمنهج الصحيح.

عنوان الخبر:

باكستان: موائد إفطار مشتركة داخل فضاء صوفي في "ميثي" تعكس تداخل البعد الاجتماعي والديني

مصدر الخبر:

Dawn

تاريخ الخبر:

11 مارس 2026

الرابط:

https://www.dawn.com/news/1980716

ملخص الخبر:

نقل تقرير "Dawn" من مدينة "ميثي" في إقليم السند أن عائلات هندوسية دأبت على إعداد موائد الإفطار للمسلمين خلال رمضان، وأن بعض هذه الموائد يجري تنظيمها داخل فضاء مرتبط بضريح صوفي محلي، في مشهد يقدمه التقرير مثالًا على الانسجام الاجتماعي والديني في المنطقة.

التعليق على الخبر:

التعايش الأهلي وحفظ السلم بين الناس مقصد حسن، لكن توسيع الفضاءات المرتبطة بالأضرحة لتكون مركزًا دينيًا واجتماعيًا مفتوحًا بلا ضوابط يظل أمرًا يحتاج إلى نظر شرعي دقيق، حتى لا يختلط المشروع التعبدي بالعوائد الشعبية.

عنوان الخبر:

الهند: مئات الآلاف يشاركون في التجمع الرمضاني الكبير لمؤسسة "مَعْدِن" في ليلة السابع والعشرين

مصدر الخبر:

Ma'din Academy

تاريخ الخبر:

17 مارس 2026

الرابط:

https://madin.edu.in/ramadan-prayer-congregation-a-call-for-spiritual-renewal-and-peace

ملخص الخبر:

ذكرت "Ma'din Academy" أن مئات الآلاف شاركوا في التجمع الرمضاني الكبير في "سوالات نغر" بولاية كيرلا في ليلة السابع والعشرين من رمضان، مع ربط الحدث بمعاني التجديد الروحي والدعاء للسلام، ووصفت المؤسسة الحدث بأنه من أكبر التجمعات الرمضانية ذات الرسالة السلمية في الهند هذا العام.

التعليق على الخبر:

الخبر يكشف الثقل التعبوي الكبير لبعض المؤسسات السنية ذات الخلفية الصوفية في جنوب آسيا، ويؤكد أن رمضان ما يزال موسمًا للحشد الروحي والاجتماعي واسع النطاق، لكن كثرة الحضور وحدها ليست معيارًا كافيًا في تقويم المسار.

عنوان الخبر:

السنغال: جماعة "باي فال" الصوفية تنشط في إعداد وتوزيع موائد الإفطار في طوبا

مصدر الخبر:

Africanews

تاريخ الخبر:

17 مارس 2026

الرابط:

during-ramadan-senegals-baye-fall-/17/03/https://www.africanews.com/2026
/community-lives-to-serve-through-iftar-meals

ملخص الخبر:

عرض التقرير نشاط جماعة "باي فال" المنتمية إلى الأخوية المريدية في السنغال خلال رمضان، وركز على تنظيمهم طهيًا جماعيًا وتوزيعًا واسعًا لوجبات الإفطار في مدينة طوبا، مع إبراز الخدمة والإطعام بوصفهما من القيم المركزية في تجربتهم. كما أشار التقرير إلى خصوصية هذه الجماعة داخل الفضاء الصوفي السنغالي.

التعليق على الخبر:

الخدمة الاجتماعية وإطعام الناس من الأخلاق المحمودة، غير أن تعظيم بعض الأعمال الخدمية حتى تصبح بديلًا عن الأصول التعبدية أو مبررًا للتفريط فيها مسلك غير مستقيم، والعبادات لا يعوّض بعضها بعضًا على هذا الوجه.

عنوان الخبر:

كندا " أوتاوا " : مؤسسة "رودا" الصوفية تطلق برنامجًا رمضانيًا يوميًا عبر زووم بعنوان "كلمة لكل يوم"

مصدر الخبر:

Sufi Garden / Rhoda Foundation

تاريخ الخبر:

5 مارس 2026

الرابط:

https://www.sufigarden.org/events-1/one-day-on-word

ملخص الخبر:

أطلقت مؤسسة "Rhoda Foundation" عبر منصتها "Sufi Garden" برنامجًا رمضانيًا رقميًا يوميًا بعنوان "One Day, One Word"، يبدأ في 5 مارس 2026 ويُبث عبر Zoom، ويستهدف تقديم لقاء يومي قصير يربط المشاركين بمعاني الشهر. ويمثل هذا الخبر مثالًا واضحًا على انتقال التربية الروحية الصوفية في الغرب من المجلس الحضوري إلى الحلقة الرقمية المبرمجة.

التعليق على الخبر:

هذا التحول من الزاوية إلى الغرفة الرقمية جدير بالمتابعة؛ لأنه يعيد تشكيل علاقة المريد بالمجلس، ويحوّل بعض وظائف الصحبة إلى محتوى مجدول عابر للبلدان والمنصات.

عنوان الخبر:

الولايات المتحدة: "صوفي لايف" توثق برنامجًا رمضانيًا متواصلًا يضم دروسًا وتراويحًا وقيامًا ضمن سلسلة "رمضان 1447"

مصدر الخبر:

SufiLive

تاريخ الخبر:

6-16 مارس 2026

الرابط:

https://sufilive.com/Ramadan-1447-s.html-448

ملخص الخبر:

أظهرت صفحة "Ramadan 1447" على منصة "SufiLive" أرشفة عشرات المواد الرمضانية خلال الشهر، شملت دروسًا في 6 و13 مارس 2026، إلى جانب مواد خاصة بالتراويح وليلة القدر وقيام الليل خلال النصف الثاني من رمضان، من مركزهم في برتون بولاية ميشيغان. ويكشف ذلك عن نموذج صوفي رقمي يقوم على الأرشفة المستمرة والبث والإتاحة العابرة للمكان.

التعليق على الخبر:

المنصات الرقمية هنا لم تعد مجرد وسيلة إعلان للطرق، بل صارت وسيطًا بديلًا لإنتاج الصحبة والتعليم والمتابعة، وهو تحول تقني وتنظيمي يستحق دراسة مستقلة في مستقبل التدين الشبكي.

المحبة المشروعة والاعتقاد الممنوع في الصالحين: تأصيل شرعي

د. محمد متعب البشري

يتناول هذا المقال قضية المحبة الشرعية والاعتقاد غير المشروع في الصالحين، مع التركيز على المنهج الصحيح في التعامل مع محبة الصالحين واتباعهم، حيث يوضح المبحث الفرق بين المحبة الشرعية التي أذن بها الشرع، وهي محبة الصالحين وتعظيمهم باعتبار صلاحهم، محبة منضبطة بحدود الكتاب والسنة، قائمة على الاقتداء بأعمالهم الصالحة، والدعاء لهم، والثناء عليهم بما فيهم من غير إفراط ولا غلو، وبين المحبة التي يدخلها الغلو ورفع الصالحين فوق منازلهم التي أنزلهم الله إياها، أو صرف شيء من خصائص العبادة لهم، كالدعاء والاستغاثة والتوكل والذبح والنذر، فهي محبة محرمة، تفضي إلى الشرك بالله تعالى، وقد تبرأ منها الأنبياء جميعا، وحذروا أممهم من سلوك سبيلها، وسنبين هذه المسألة بياناً جليا مستنداً إلى النصوص القرآنية والسنة النبوية، مع تحليل استقرائي لتطبيقات الصحابة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، كما يبرز المقال أهمية الرجوع إلى أهل العلم المعتبرين في مسائل الاعتقاد وعدم الانسياق وراء الأعراف، أو الممارسات الشائعة؛ لضمان سلامة التوحيد و تحصين الإيمان من الغلو والابتداع؛ فالمسلم الذي يقر بأصول الإيمان بالله واليوم الآخر، ويظهر التزامًا عامًا بمحبة ما أحبه الله ورسوله، وبغض ما أبغضه الله ورسوله، غير أنه يفتقر إلى التأصيل العلمي في مسائل الاعتقاد، وقد التبست عليه بعض القضايا العقدية نتيجة ضعف التلقي الشرعي أو تأثير الشبهات، فوقع في اعتقادات وممارسات يظنها مشروعة، وهي في حقيقتها مخالفة لأصول التوحيد، ولا يفهم من هذا الوقوع أنه ناتج عن قصد إلى المخالفة؛ أو إنكار لأحكام الشرع؛ بل إن منشأه في الغالب هو الجهل بحقائق مسائل الاعتقاد وما تؤول إليه، إذ لو تبين لهذا الشخص أن بعض تلك الممارسات يؤدي إلى الشرك أو الكفر المخرج من ملة الإسلام لما أقدم عليها ولا استمر فيها.



ومن هنا تبرز أهمية المعالجة العلمية المنهجية لهذه الإشكالات، القائمة على البيان والتأصيل، والاحتكام إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، دون مصادرة أو تجريح؛ إذ أن الأصل المقرر في باب الاعتقاد هو وجوب اتباع الوحي، ورد مسائل الإيمان والتوحيد إلى نصوصه المحكمة، لا إلى الأعراف أو الممارسات الموروثة أو الاعتبارات العاطفية المجردة.

وقد تولى القرآن الكريم بيان معالم التوحيد بيانًا شاملًا، فحدد ما يحبه الله تعالى وما يكرهه، وأوضح أصول الدين ومقاصده، ومن الأمور المهمة التي وضحها القرآن أن من الناس من يتخذ من دون الله مثلاء ونظراء، فيسوونهم بالله في العبادة والمحبة والتعظيم والطاعة، وهو أصل الشرك الذي بعث الله الرسل لإنكاره والتحذير منه؛ إذ لا يجوز صرف شيء من خصائص الألوهية لغير الله، ولا جعل المخلوق نداً للخالق في حق من حقوقه، كائناً من كان، ولو كان نبياً أو ولياً أو صالحا، قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) [البقرة: 165]، أي يجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله، فيكون في قلوبهم محبة لله، ومحبة للأصنام، ويجعلون محبة الأصنام كمحبة الله، وفي الواقع المعاصر تتجلى دلالة هذه الآية الكريمة بوضوح في حال طوائف من الناس غلوا في محبة بعض الأولياء والصالحين، حتى صارت هذه المحبة تنافس محبة الله تعالى، ويكون ذلك حين يُقدَّم قول الولي أو الشيخ على نصوص الكتاب والسنة، فيُرد الدليل الشرعي أو يُؤوَّل من أجل موافقة اعتقاد متوارث أو ممارسة شائعة، ويكون أيضاً حين تُصرف للأولياء أعمال قلبية أو بدنية هي من خصائص العبادة، كدعائهم من دون الله، أو الاستغاثة بهم في الشدائد، أو اعتقاد أنهم يتصرفون في الكون، أو يملكون النفع والضر استقلالا، وهذا اللون من المحبة هو بعينه ما وصفته الآية بقوله تعالى: (يحبونهم كحب الله)، أي يجعلون لهم من التعظيم والطاعة والخضوع ما لا يكون إلا لله، بينما المحبة الشرعية للأولياء إنما تكون تابعة لمحبة الله، منضبطة بشرعه، قائمة على الاتباع لا الابتداع، وعلى الاقتداء لا الغلو؛ ولهذا كان منهج الأنبياء جميعا التبرؤ من كل محبة تفضي إلى الشرك، والدعوة إلى إفراد الله بالمحبة العظمى، التي تذل لها القلوب، وتخضع لها الجوارح، ولا ينازع الله فيها أحد كائناً من كان.

ثم جاء البيان النبوي مكملًا للقرآن، حيث أنَّ دعوةُ النَّبيّ ﷺ من أوَّلِها إلى آخرِها قائمةٌ على تقرير توحيد العبادة، ومحاربة كل صور الغلو، وتجفيف منابعه قبل أن تستحكم، ولهذا كان خوفه على أمته من أعظم المخاوف؛ حيثُ دَعَا ربه أَنْ لا يجعل قبره وثناً يُعْبَد من دون الله، فقال: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَد اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، فإذا كان ﷺ وهو أفضل الخلق، وأعظمهم قدرًا، وأرفعهم منزلةً عند الله يخشى أن يُفضي تعظيم قبره إلى نوعٍ من العبادة بعد وفاته، فكيف يُتصوَّر السلامة لمن توجَّه إلى قبور أناسٍ دونه منزلةً وفضلًا؛ بل قد يكون حالُ بعضهم مجهولًا، فنهي النَّبيّ ﷺ عن اتِّخاذِ قبرِهِ وثناً يُعْبَد ليس أمرًا عارضًا، ولا احتياطًا زائدًا، بل هو أصلٌ مؤسَّسٌ على معرفةٍ عميقةٍ بسُنَنِ الانحراف العقدي في الأمم السابقة؛ إذ ثبت بالتواتر المعنوي أنَّ كثيرًا ممن كان قبلنا غلَوا في أنبيائهم وصالحيهم، فبنَوا على قبورهم المساجد، ثم آل بهم الأمر إلى صرف أنواعٍ من العبادة لهم، فوقعوا في الشِّرك من حيث لا يشعرون، فجمع في هذا الدعاء بين كمال إخلاصه للتوحيد، وتمام شفقته على أمته، وسدِّه لكل ذريعةٍ تُفضي إلى الشِّرك فقال وقد تجلت المنزلة الرفيعة للنبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه رضي الله عنهم؛ إذ بلغت محبتهم له غاية الكمال، فأثروه على أنفسهم وأموالهم وأهلهم، ومع ذلك، لم تؤد هذه المحبة العظيمة إلى الغلو فيه أو صرف شيء من خصائص الألوهية له؛ بل كانوا من أرسخ الناس علمًا بالتوحيد، وأشدهم تمييزًا بين حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم، وأدقهم فهمًا لمعنى الشرك وحدوده ومظاهره.

ويتعزز هذا المعنى عند النظر الاستقرائي في التطبيقات العملية لعصر النبوة والجيل الأول؛ إذ لا يوجد دليل صحيح يثبت أن أحدًا من المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم توجه إليه بالدعاء، أو نذر له، أو استغاث به على جهة العبادة، كما لا ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه قصد قبره بعد وفاته ليسأله قضاء الحاجات، أو يدعوه، أو يندبه، أو يلجأ إليه على وجه التعبد؛ ولو كان شيء من ذلك مشروعًا أو حسنًا في ميزان الشريعة، لكان الصحابة وهم أعلم الناس بدينهم، وأشدهم محبة له، وأحرصهم على الخير، وأسبق الناس إلى فعله، ولنقل عنهم نقلًا ظاهرًا شائعًا؛ إذ لا يتصور اجتماعهم على ترك أمر يتقرب به إلى الله تعالى مع قيام الداعي إليه وانتفاء المانع منه.

فإذا كان منهجُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم قائمًا على التوحيد الخالص، والتنزيه التام لله تعالى عن الشريك والنِّد، ولذلك تبرَّؤوا من الغلوِّ في الأنبياء والصالحين تبرُّؤًا عمليًّا وعلميًّا، فلم يجاوزوا فيهم حدَّ ما جاء به النصُّ الشرعي، ولم يتأثروا بالأهواء أو العوائد الشائعة بين الأمم، فقد علم الصَّحابةُ أنَّ الغلوَّ هو أوَّلُ طريق الشرك، وأنَّه السبب الذي أضلَّ الأمم السابقة، كما قال النبي ﷺ: «إيَّاكم والغلوَّ، فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُّ». لذلك رفضوا كلَّ ما يترتَّب على الغلوِّ من دعاءِ غير الله، أو الاستغاثة بالمخلوقين، أو صرف شيءٍ من خصائص العبادة لغير الله، كالنذر والذبح والتوكُّل؛ لأنَّ هذه العبادات حقٌّ خالصٌ لله وحده، وكانت مرجعيَّةُ الصَّحابةِ في ذلك هي النصَّ الشرعي، لا العاطفة ولا الذوق ولا الممارسة الشائعة، فوقفوا عند قول الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وفهموا أنَّ الاستعانة والعبادة لا تكونان إلا لله، مهما عَظُم قدرُ النبي أو الصالح؛ ولهذا لم يدعُ أحدٌ منهم النبيَّ ﷺ بعد وفاته، ولم يستغث به، مع كمال محبتهم له وتعظيمهم لشأنه، وقد رسخ هذا المنهج لأنهم أيقنوا أنَّ النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بما فيه نجاة العباد، وأنَّه حذَّر أمته من الغلو فيه فقال: «لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم». فامتثلوا أمره، وحفظوا جناب التوحيد، وحققوا الاتباع الصادق الذي جمع بين كمال المحبة وكمال التعظيم دون إفراط ولا تفريط.

وبهذا كان منهج الصَّحابةِ نموذجًا نقيًّا في حماية العقيدة، وردِّ الناس إلى عبادة الله وحده، وربط القلوب بالنصِّ الشرعي، لا بالأشخاص ولا بالمظاهر، وهو المنهج الذي به صلحت القرون، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا به؛ إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق، ولا يأمر إلا بالحق، والواجب على كل مؤمن أن يتبعه فيما جاء به، وأن يجعل قوله وفهمه ميزانا في تقرير مسائل الاعتقاد، وبالجملة فان محل الانكار في هذا السياق هو صرف الاعتقاد والعبادة لغير الله تعالى، وهو أمر لا يجوز بحال، ولا يسوغ لاحد أن ينسبه الى الدين، ولا سيما إذا صادرا عن اجتهاد شخصي، أو منقولًا عن كتب غير موثوقة، فهو مردود غير معتبر.

فإذا علم أن هذا المنهج - منع الغلو في الصالحين - مستند إلى نصوص الكتاب والسنة، وإلى ما أجمع عليه علماء الامة على اختلاف مذاهبهم، فانه لا يسوغ لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل شيوع المخالفة في زمنه، أو استقرار العرف في بلده؛ إذ الكثرة ليست معيارا للحق، ولا الواقع حاكماً على النص.

وتتعدد الأدلة الشرعية الدالة على هذا الأصل، غير أنه يكتفى هنا بالتمثيل بقول الله تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) [الإسراء: 56-57]، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في أقوام غلوا في بعض الانبياء والصالحين، كعيسى عليه السلام وعزير، فبين الله تعالى أن هؤلاء عباد مخلوقين، يرجون رحمته ويخافون عذابه، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

ويستفاد من ذلك أن مجرد محبة الصالحين، أو الاعتقاد بقربهم من الله، لا يسوغ دعاءهم ولا صرف شيء من العبادة لهم، وأن هذا المسلك هو بعينه ما حكاه القرآن عن المشركين الأولين، الذين جعلوا بين الله وبينهم وسائط من الصالحين، زاعمين أنهم يقربونهم الى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، حيث قال الله فيهم:(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: ٣]، واذا كان هذا هو ما صدر عن من كان يحسن الظن في الانبياء، فكيف بمن يصرف هذه الافعال إلى أشخاص ثبت عنهم الفساد أو التلبيس على العامة وأكل أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيل الله.

كما ينبغي التنبيه إلى أن هذه الممارسات لا تمثل محبة الصالحين على الحقيقة؛ بل هي في حقيقتها مناقضة لمنهجهم، إذ أن المحبة الشرعية تقتضي الاتباع، ومن أحب الصالحين حقا أطاعهم في دعوتهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، وأما من دعاهم وخالف منهجهم، وزعم أن ذلك من المحبة، فشأنه كشأن من ادعى محبة عيسى عليه السلام وهو يخالف دعوته، أو من غلا في بعض الصحابة مع مخالفته لهديهم.

فإن الواجب في هذه المسائل الرجوع الى نصوص الوحي، وسؤال أهل العلم المعتبرين في مختلف المذاهب، لا اتباع الأشخاص ولا الانسياق وراء الشائع، كما يجب التنبه الى أن صرف العبادة لغير الله ليس من جنس المعاصي العملية كالزنا والسرقة؛ بل هو من جنس الشرك الذي تبرأ منه جميع الأنبياء، وهو أصل الانحراف العقدي الذي بعثت الرسل لتصحيحه، وبهذا يظهر أثر التوقيف في العبادات على منع الغلو في الصالحين، وضمان التزام المؤمنين بالمنهج العلمي الصحيح القائم على النصوص الشرعية والفهم المستنير لسلف الامة.

خزّانة الوثائق

من التفسير إلى التأويل الصوفي: قراءة نقدية في مخطوطة ابن عربي في الفاتحة والبسملة

د. دعاء أحمد

في هذه المحطة من «خزانة الوثائق» نقف مع رسالة منسوبة إلى محيي الدين ابن عربي بعنوان «تفسير فاتحة الكتاب وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم»، وهي الرسالة الثانية ضمن مجموع «رسائل صوفية مخطوطة». وتمثل هذه الرسالة نموذجًا واضحًا لمسلكٍ اشتهر في بعض الكتابات الصوفية، يقوم على تجاوز حدود التفسير المعتمد إلى توسيع دلالات النص القرآني تحميلًا ورمزًا وإشارة، حتى يغدو النص مجالًا لبناء تصورات ذوقية ووجودية لا يدل عليها ظاهر القرآن، ولا يعرفها التفسير المأثور عن السلف.

وتنبع أهمية هذه الرسالة من جهتين: الأولى أنها تتناول سورة الفاتحة، وهي أمُّ القرآن وأعظم سورة فيه، والثانية أنها تكشف بوضوح عن آلية التأويل الصوفي عند ابن عربي؛ إذ لا يقف عند معاني الألفاظ على ما تقتضيه اللغة والسياق وما جاء عن المفسرين، بل ينقل الفاتحة والبسملة إلى فضاء من المعاني الكلية والمراتب الوجودية والأسماء الجامعة، على نحوٍ يبرز الفارق الكبير بين تفسير القرآن بالوحي واللسان العربي وفهم الصحابة والتابعين، وبين تفسيره بالذوق والرمز والمصطلح الصوفي.



تبدأ الرسالة بإعلاء شأن الفاتحة تعظيمًا يتجاوز ما ورد فيها من فضل مشروع، إلى جعلها مستودعًا شاملًا لكل الحقائق والمراتب. فيصرح المؤلف بأن الفاتحة سُمِّيت "الفاتحة" لأنها فتحت أبواب خزائن الحقائق، ولأنها اشتملت على مراتب الربوبية والعبودية والأمور الدنيوية والأخروية. وهذه الصياغة ليست مجرد تعبير بلاغي، بل هي مفتاح المنهج الذي بُنيت عليه الرسالة كلها؛ إذ تتحول الفاتحة من سورةٍ عظيمة اشتملت على معاني التوحيد والعبادة والدعاء والاستعانة والهداية، إلى خريطة كونية شاملة يُراد أن تُستخرج منها حقائق الوجود والمراتب والمقامات.

وهنا يظهر أول موطن النقد؛ فإن تعظيم القرآن وتعظيم الفاتحة حق، بل هو من أصول الإيمان، لكن هذا التعظيم لا يبيح إخراج النص عن سنن التفسير المعتبر. فالفاتحة عند أهل العلم تُفسَّر بما دل عليه لسان العرب، وبما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبما قرره أئمة التفسير، لا بما يُلقى في الخاطر من اصطلاحات أو ما يُبنى على الرمز المجرد. وإذا فُتح هذا الباب بلا ضابط، صار كل لفظ في القرآن قابلًا لأن يُحمَّل ما شاءه صاحبه من المعاني البعيدة، وفقد التفسير معناه، وصار النص تابعًا للمذهب لا حاكمًا عليه.

ثم تمضي الرسالة إلى معالجة البسملة معالجة تكشف بجلاء هذا المسلك. فالنسخة المحققة تشتمل على عنوان داخلي هو «ظهور العالم بالباء»، ويُبنى الكلام فيه على أن "بسم الله الرحمن الرحيم" خبر عن ابتداء مضمر، هو ابتداء العالم وظهوره. وهذا الانتقال من البسملة إلى تفسير ظهور العالم ليس من جنس التفسير المعروف عند المفسرين، بل هو من جنس الإلحاق الفلسفي والرمزي بالنص. فالمفسرون تكلموا في البسملة من حيث معناها، وأحكامها، وما تضمنته من الاستعانة بالله والتبرك باسمه، وافتتاح الأعمال بذكره، وبيان اسمي الرحمة: الرحمن الرحيم. أما جعل الباء مدخلًا لتفسير نشأة العالم ومراتب ظهوره، فليس هذا من البيان الذي جاء به الوحي، بل من التوسع الذي يتخذ من ألفاظ القرآن مادة لتقرير تصورات سابقة عليه.

وكذلك يجعل المؤلف اسم «الله» هو الاسم الجامع للأسماء كلها، ثم ينتقل من ذلك إلى بناء تصورات تتجاوز حدود ما يفهمه المسلم من عموم كمال الله، إلى بناء هرمي للمراتب والمعاني على طريقة أهل الإشارة. ولا ريب أن أسماء الله باب توقيفي عظيم، لا يجوز الكلام فيه إلا بعلم وبرهان، ولا يجوز جعل الأسماء الإلهية مدخلًا لتصويرات رمزية أو وجودية لم يدل عليها الكتاب والسنة. فالواجب في هذا الباب إثبات ما أثبته الله لنفسه، وفهمه على مقتضى اللغة والشرع، لا اتخاذ الأسماء مطيةً إلى مصطلحات لا يعرفها السلف، ولا دل عليها لسان القرآن.

ومن خلال تأمل الرسالة يتبين أن المؤلف لا يفسر "الحمد لله رب العالمين" على نحو ما درج عليه المفسرون من بيان الحمد والثناء والربوبية وعموم ملك الله وتدبيره، بل ينسج حولها شبكة من المراتب والحقائق. وكذلك لا يكتفي في قوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» بإبراز توحيد العبادة وتوحيد الاستعانة، كما هو أصل الآية ومحورها، بل يتوسع في جعلها حاويةً لمراتب معرفية ووجودية مخصوصة. وهذه النقلة هي موطن الخلل؛ لأن الآية أصل في إفراد الله بالعبادة والاستعانة، وفيها من الوضوح والبيان ما يغني عن هذا التكلّف. أمّا صرفها إلى حقائق مبهمة أو مراتب ذوقية، فهو صرف للنص عن مقصوده الواضح إلى مقاصد يصنعها المؤول.

وهذا النمط من الكتابة لا يُفهم على أنه مجرد وعظ أو تأمل روحي بريء، بل هو منهج له آثاره الخطيرة؛ لأن النص إذا صار يُقرأ بهذه الطريقة، أمكن أن يُستخرج منه كل شيء، وأن تُسند إليه عقائد وأذواق ومصطلحات لا صلة لها بتفسير السلف. ومن هنا كان أهل العلم يفرقون بين الاستنباط الصحيح الذي يبقى تابعًا للمعنى الظاهر ولا مناقضة فيه له، وبين التأويل الباطني الذي يجعل اللفظ قشرة لمعنى آخر هو المقصود عند المؤول. والأول قد يقع فيه شيء من الإشارة المقبولة إن لم تخالف أصلًا ولم تزاحم المعنى الظاهر، أما الثاني فهو انحراف في باب التفسير؛ لأنه يرفع سلطان النص الظاهر، ويجعل الكلمة القرآنية مفتوحة على معانٍ لا يحدها لسان ولا أثر.

وتـزداد قيمـة هـذه الرسـالة وثائقيًـا مـن جهـة أنهـا تكشـف الذهنيـة التـي يتشـكل فيهـا هـذا اللـون مـن التفسـير. فنحـن لا نقـف هنـا فقـط أمـام كلام فـي الفاتحـة والبسـملة، بـل أمـام طريقـة فـي التعامـل مـع الوحـي: طريقـة تنطلـق مـن التسـليم بمركزيـة الرمـز، ومـن اعتبـار اللفـظ القرآنـي بوابـة إلـى شـبكة مـن الحقائـق الباطنـة والمراتـب الكليـة. وهـذا هـو الـذي يفسـر كيـف تتكـرر عنـد ابـن عربـي وأمثالـه عبـارات مـن قبيـل: الجامـع، والمراتـب، والظهـور، والحقائـق، والأسـماء، والفتوحـات، والربوبيـة والعبوديـة بمعناهـا الاصطلاحـي المركـب، لا بمعناهـا الـذي يدل عليـه التفسـير المأثور.

ويُـزاد علـى ذلـك أن المحقـق نفسـه أشـار فـي بعـض المواضـع إلـى أن بعـض العناويـن الداخليـة مـن وضعـه هـو، لا مـن وضـع المؤلـف، وأن المؤلـف تنـاول بعـض هـذه المسـائل فـي مواضـع أخـرى مـن «الفتوحـات المكيـة» مـن وجـه دون وجـه. وهـذه الملاحظـة مهمـة فـي العمـل الوثائقـي؛ لأنهـا تنبـه إلـى أن القـارئ يجـب أن يميـز بيـن أصـل النـص، وبيـن تـدخلات التحقيـق والترتيـب والعنونـة. لكـن هـذا لا يغيّـر مـن النتيجـة الأساسـية شـيئًا؛ فـإن متـن الرسـالة نفسـه كافٍ فـي الدلالـة علـى المسـلك العـام الـذي تسـير عليـه، وعلـى البعـد الكبيـر بينهـا وبيـن تفسـير القـرآن بمـا ورد عـن النبـي صلـى اللـه عليـه وسـلم وأصحابـه.

وإذا أردنـا أن نحـدد القيمـة الحقيقيـة لهـذه المخطوطـة، فإنهـا لا تكمن فـي اعتمادها تفسـيرًا يُرجـع إليـه، بـل فـي كونهـا وثيقـة كاشـفة عـن أحـد أصـول الانحـراف فـي التفسـير الصوفـي؛ إذ تبيّـن كيـف يُنقـل القـرآن مـن مجـال البيـان والهـدى إلـى مجـال الرمـز والـذوق والمصطلـح، وكيـف تُحمَّـل الفاتحـة والبسـملة معانـي كونيـة وفلسـفية لا يـدل عليهـا اللفـظ، ولا يشـهد لهـا أثـر، ولا يسـتقيم معهـا منهـج التفسـير المعتمـد. ومـن هنـا فـإن نشـر مثـل هـذه الوثائـق وقراءتهـا قـراءة نقديـة ليـس مقصـوده إحيـاء هـذا المسـلك، بـل كشـفه وبيـان طريقتـه، حتـى يـدرك القـارئ كيـف تـدرج بعـض المتأخريـن مـن التعظيـم المشـروع للقـرآن إلـى اسـتعماله فـي تقريـر معـانٍ لا صلـة لهـا بهدايتـه الأصليـة.

وخلاصة القول أن هذه الرسالة مثال مكثف على الفرق بين التفسير الذي يطلب مراد الله من كلامه، والتأويل الذي يجعل النص وعاءً لمعانٍ سابقة عليه. ففي التفسير الأول يكون القرآن أصلًا تُرد إليه المعاني، وتُضبط به العقول والقلوب. وفي الثاني يصبح القرآن تابعًا لمخزون المؤول من الذوق والاصطلاح والرمز. ولهذا فإن هذه المخطوطة، على قصرها، تظل شاهدة على مسلكٍ ينبغي التنبيه عليه والتحذير من آثاره، لا سيما في سورة هي أصل العبودية والاستعانة والدعاء، وأولى ما يجب أن يُصان عن التحميل الباطني والتكلف الإشاري.



المصادر :

- رسائل صوفية مخطوطة تحقيق سعيد عبد الفتاح - دار الكتب العلمية
- https://archive.org/details/rasil_sufia_makhtuta

نشأة التصوف في القرن الثاني الهجري: من الزهد الفردي إلى التكوين المدرسي

لجنة البحوث والدراسات بمجلة مدارك

تمهيد

إذا أريد تناول نشأة التصوف تناولًا تاريخيًّا منضبطًا، فلا بد من التمييز أولًا بين الزهد المشروع الذي عُرف في الصدر الأول، وبين التصوف بوصفه اسمًا اصطلاحيًا وهويةً جماعيةً ومسارًا له مصطلحاته وطبقاته ورموزه. فليست كل عبادةٍ شديدة، ولا كل إعراضٍ عن الدنيا، تصوفًا بالمعنى الذي استقر بعد ذلك؛ كما أن ردّ كل ما وقع في طبقات الزهاد الأوائل إلى "التصوف" ردٌّ متعجل يطمس الفوارق بين المراحل. ولهذا نبّه بعض الباحثين المعاصرين إلى أن الزهد الإسلامي المبكر غلب على القرن الثاني للهجرة، وأن "التصوف الكلاسيكي" بما هو اتجاه متميز لم يتبلور إلا لاحقًا، ولا سيما في بغداد في النصف الثاني من القرن الثالث.

ومن هنا فإن القرن الثاني الهجري ينبغي أن يُقرأ بوصفه مرحلة انتقال: بدأ بزهدٍ فردي قوي الجذور في الوحي وممارسة السلف، ثم انتهى إلى ملامح أولية لهوية صوفية ناشئة، قبل أن تستكمل صورتها المدرسية والتنظيمية في القرن التالي. وهذا التفريق ضروري؛ لأن بعض الكتابات المتأخرة أسقطت الاسم والهوية المتأخرين على جميع الطبقات الأولى، حتى بدا وكأن التصوف ولد مكتملًا منذ اللحظة الأولى، مع أن الشواهد التاريخية لا تؤيد هذا التبسيط. وقد رفض كريستوفر ملكرت صراحة النظر إلى التصوف بوصفه "جوهرًا فوق تاريخي" حاضرًا من زمن النبوة على الصورة التي عُرف بها لاحقًا.



أولًا: الخلفية التي خرج منها الزهد في مطلع القرن الثاني

كان التوسع السياسي والمالي بعد الفتوح، ثم ما تبعه من اضطراب الفتن وتحول المجتمع الإسلامي من طور البدايات البسيطة إلى طور الدولة الواسعة، من أهم السياقات التي أفرزت نزعةً زهديةً قوية. ويشرح كريستوفر ملكرت أن "التقوى الزهدية" في القرن الثامن الميلادي/الثاني الهجري كانت في جانب منها محاولةً للحفاظ على أخلاق الجيل الأول بعد انقضاء زمن الفتوح، حين صار كثير من المسلمين يعيشون واقعًا مختلفًا: مدنًا كبرى، وأموالًا متزايدة، وإدارةً إمبراطوريةً معقدة، بعد أن كان المسلمون في بداياتهم طبقةً قليلة تقود مجتمعًا بسيطًا نسبيًّا. وفي مثل هذا المناخ نشأ من يرفع شعار المحاسبة، وطول الصلاة، وكثرة التلاوة، والخوف من الحساب، والنفور من الترف.

ومع ذلك، فليس صحيحًا أن هذا الزهد الأول كان رهبانيةً بالمعنى المعروف، أو انقطاعًا عامًا عن الناس. فالشواهد المبكرة التي استعرضها ملكرت تفيد أن الاعتزال الطويل عن المجتمع كان نادرًا في المراحل الأولى، بل إن بعض الآثار نسبت إلى ابن مسعود إنكاره على قوم اعتزلوا الناس للعبادة، قائلًا: لو فعل الناس جميعًا ذلك فمن يجاهد العدو؟ وهذا مهم؛ لأنه يكشف أن الزهد الأول كان في أصله إصلاحًا للباطن والسلوك، لا تأسيسًا لحياة رهبانية منفصلة عن الاجتماع الإسلامي العام.

ثانيًا: البصرة مهد الزهد الواعظي

تُعد البصرة أبرز الحواضن التي نضج فيها هذا اللون من الزهد في أوائل القرن الثاني. وكان الحسن البصري محورًا رئيسًا في هذه المرحلة؛ فقد جمع بين الوعظ، والفقه، والخوف من الله، والحديث عن فساد الدنيا، والتحذير من الغفلة. وتصفه Encyclopaedia Iranica بأنه واعظ ومتكلم وفقيه وقارئ ومُتعبِّد مهم في الإسلام المبكر، عاش أكثر حياته في البصرة، وترك فيها أثرًا عميقًا في الوعظ والزهد. كما تلخص Britannica جانبًا من أثره بقولها إنه شدد على محاسبة النفس، وعلى أن يعيش المؤمن في خوف من المصير بعد الموت. وهذا اللون من التركيز على الخوف، والمحاسبة، وقصر الأمل أصبح لاحقًا من اللبنات المركزية في أدبيات الزهد ثم في بعض المصنفات الصوفية.

لكن الإنصاف التاريخي يقتضي التنبيه إلى أن الحسن البصري وأمثاله لم يكونوا "صوفية" بالمعنى الاصطلاحي الذي استقر بعد ذلك، بل كانوا من كبار الزهاد والعباد في الإسلام المبكر. والخلط بين الزهد الأول والتصوف اللاحق هو من أكبر أسباب الاضطراب في كتابة تاريخ التصوف؛ لأن المدرسة الزهدية البصرية الأولى كانت في أصلها وعظًا أخلاقيًا قائمًا على القرآن والخوف من الله، لا بناءً نظريًا لمصطلحات مثل الفناء والبقاء والاتحاد وأحوال السالكين على النحو الذي شاع بعد القرون الأولى.

ثالثًا: من الزهد الوعظي إلى الزهد المتشدد

في النصف الأول من القرن الثاني، بقيت الأسماء الشائعة على هذه الطبقة هي: الزهاد، والنساك، والعباد. ويذكر ملكرت أن أصحاب هذه النزعة كانوا يكثرون من تلاوة القرآن، وقيام الليل، ويعيشون حياة خشنة، وأن بعضهم لبس الصوف فعلًا، لكن هذا لم يكن بعدُ عنوانًا لتيار مستقل. كما يصرح بأن أفكار "الحب المتبادل" و"الاتحاد الصوفي" لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة المبكرة، وأن الإشارات إلى "الصوفية" قبل أواخر القرن الثامن الميلادي قليلة جدًا. وهذه الملاحظة فاصلة؛ لأنها ترد على من يصور القرن الثاني كله باعتباره قرن التصوف الناضج، بينما هو في حقيقته قرن الزهد الشديد الذي أخذ يقترب تدريجيًّا من التصوف، دون أن يطابقه تمامًا.

ومن رموز هذه المرحلة أيضًا رجال اشتهروا بالورع والفرار من الشهرة، مثل سفيان الثوري، وداود الطائي، ومالك بن دينار، ثم ظهر في المشرق رجال اشتهروا بالانتقال من حياة الدنيا إلى الزهد، كإبراهيم بن أدهم. وتصفه Encyclopaedia Iranica بأنه من أبرز الزهاد في القرن الثاني، ولد في بلخ، وانتقل إلى الشام، وصار اسمه في المصادر المتأخرة مقرونًا بقصص التوبة وترك الرفاه. والمهم هنا ليس صحة كل ما نُسج حوله من حكايات، بل دلالة حضوره على أن الزهد في القرن الثاني خرج من نطاق البصرة وحدها، وتوسع إلى آفاق العراق وخراسان والشام.

رابعًا: رابعة العدوية وتحول لغة الزهد

مع أواخر القرن الثاني برزت رابعة العدوية بوصفها شخصية فارقة في تطور الخطاب الزهدي. فـ Britannica تنسب إليها أنها أول من صاغ بوضوح فكرة محبة الله الخالصة التي لا تقوم على طلب الجنة ولا على الخوف من النار، بل على محبة الله لذاته. غير أن التعامل العلمي مع رابعة يقتضي احترازًا مهمًّا؛ إذ تؤكد Encyclopedia.com أن صورتها البيوغرافية تشكلت من روايات متأخرة متعددة، وأن كثيرًا مما نُسب إليها من حكايات وأشعار دخلته مبالغات وتداخلات مع شخصيات أخرى تحمل الاسم نفسه. ومن ثم فالثابت تاريخيًا هو أصل زهدها واشتهارها، أما كثير من التفاصيل الوعظية والشعرية المتداولة عنها فليس في درجة واحدة من التوثيق.

ومع هذا التحفظ، فإن ظهور رابعة يبقى شاهدًا على انتقال مهم: من زهد يغلب عليه الخوف والمحاسبة إلى زهد بدأ يكثر فيه الحديث عن المحبة. وهذا التطور سيكون من أعظم ما غذّى التصوف اللاحق؛ لأن لغة الحب الإلهي، إذا انفلتت من ضوابط العلم والاتباع، صارت بابًا واسعًا لتأويلات بعيدة وشطحات ومفاهيم لا يشهد لها الوحي. أما في أصلها المنضبط، فإن محبة الله رأس الدين، لكن الإشكال يبدأ حين تُحوَّل هذه المحبة إلى نظام مصطلحي منفصل عن التفسير والفقه والاعتقاد الموروث عن السلف.

خامسًا: ظهور الاسم... لا اكتمال المدرسة

هنا نصل إلى المنعطف الأهم في القرن الثاني: ظهور اسم "الصوفي". وتفيد كتب الدراسات الحديثة، ومنها كتاب نيكلسون المترجم على هنداوي، أن التلقيب بـ"الصوفي" مفردًا ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأن من أوائل من نُعت به أبو هاشم الكوفي، بينما ظهرت كلمة "الصوفية" بالجمع حوالي سنة 199هـ. وتؤكد المادة المنسوبة إلى ألكسندر كنيش عن أبي هاشم أن الرجل عُدَّ في بعض المصادر أول من اشتهر بهذا اللقب، وأنه ارتبط بجو من الزهد، ومحاسبة النفس، والإعراض عن الدنيا، في أجواء ما بعد الاضطرابات السياسية التي أعقبت سقوط الدولة الأموية.

غير أن ظهور الاسم لا يعني أن المدرسة كانت قد اكتملت. وهذا فرق جوهري. فأحمد كرامستفا يقرر أن لفظ "الصوفي" في القرن الثاني وأوائل الثالث كان يدل على "زهاد متشددين" أو "ناشئي نزعة باطنية/روحية" أكثر مما يدل على جماعة ذات بناء واضح، وأن الألفاظ الأشيع آنذاك بقيت: الزاهد، والناسك، والعابد. ويزيد الأمر وضوحًا قوله إن المصطلح في تلك المرحلة كان يعبّر عن اتجاه في التدين أكثر من كونه اسمًا لجماعة منظمة ذات نظام تربية وتراث نظري متماسك. وهذا ينسجم مع ما ذكره ملكرت من أن كثيرًا من الزهاد الأوائل الذين ألحقهم المتأخرون بسلسلة التصوف لم يُسمَّوا "صوفية" في حياتهم أصلًا.

سادسًا: من الفرد إلى الحلقة... ثم إلى المدرسة

إذن، ماذا حدث في أواخر القرن الثاني؟ الذي يظهر من مجموع الشواهد أن الزهد الفردي بدأ يتحول تدريجيًا إلى حلقات حول شيوخ معينين، وإلى ملامح هوية مخصوصة في اللباس واللغة والنظرة إلى الدنيا. لكن التكوين المدرسي الحقيقي لم يكتمل في القرن الثاني نفسه؛ بل كان هذا القرن مرحلة تمهيدية، أما الظهور الكامل "لنمط صوفي متميز" فكان في بغداد في النصف الثاني من القرن الثالث، كما يقرر كرامستفا صراحة. فهو يصف تلك المرحلة بأنها لحظة تَكَوُّن "بغداد الصوفية" بوصفها نمطًا قائمًا بذاته، ثم تبعتها لاحقًا المصنفات الجامعة، والسلاسل، والمجتمعات الصوفية، والزوايا والربط.

ولهذا فإن العنوان الأدق لمرحلة القرن الثاني هو: الانتقال من الزهد الفردي إلى مقدمات التكوين المدرسي، لا إلى اكتمال المدرسة نفسها. فالبذور ظهرت في القرن الثاني، نعم؛ من حيث شيوع الزهد الشديد، وظهور الاسم، واتساع لغة المحبة والمحاسبة ولبس الصوف عند بعض الناس. أما المدرسة بما لها من مصطلحات مستقرة، وشيوخ تربية، ومتون تعريف، وطبقات، وحدود داخلية، فقد تجاوزت القرن الثاني إلى ما بعده. وهذه النتيجة أعدل تاريخيًا من التعميمين الشائعين: تعميم يجعل كل الزهد الأول تصوفًا كاملًا، وتعميم آخر ينكر كل صلة بين الزهد والتصوف الناشئ.

خاتمة

يتبين من هذا المسار التاريخي أن نشأة التصوف في القرن الثاني الهجري لم تكن قفزةً واحدة، بل تحوّلًا متدرجًا. البداية كانت زهدًا فرديًا مشروعًا نشأ في بيئات الوعظ والعبادة ومحاسبة النفس، ولا سيما في البصرة والكوفة، متأثرًا بتحولات المجتمع بعد الفتوح والفتن. ثم اتسع هذا الزهد جغرافيًا، واشتد في بعض صوره، وبدأت معه تتكون لغة جديدة في الحديث عن الفقر، والمحبة، ولبس الصوف، والابتعاد عن الدنيا. وفي النصف الثاني من القرن الثاني ظهر اسم "الصوفي" لأول مرة تقريبًا، لكنّه ظل يدل على نزعة ناشئة أكثر من دلالته على مدرسة مكتملة. ثم لما جاء القرن الثالث بدأت الملامح المؤسسية والفكرية تتماسك، حتى خرج التصوف من طور الزهد الفردي إلى طور المدرسة والاصطلاح. ومن هنا فإن القراءة المنصفة للتاريخ تقتضي أمرين معًا: عدم جحد أصل الزهد والعبادة في القرون الأولى، وعدم إضفاء المشروعية التلقائية على كل ما تطور عنه لاحقًا باسم التصوف.

المصادر :

- Christopher Melchert, "Origins and Early Sufism," in The Cambridge Companion to Sufism -.
- Christopher Melchert, Before Sufism: Early Islamic Renunciant Piety 2-.
- (C. Melchert, "ḤASAN BAṢRI," Encyclopaedia Iranica. (Encyclopaedia Iranica 3-
- (Britannica, "al-Ḥasan al-Baṣrī summary." (Encyclopedia Britannica 4-
- (Britannica, "Rābiʿah al-ʿAdawīyah." (Encyclopedia Britannica 5-
- (Encyclopedia.com, "Rabiʿa of Basra (C. 714–801)." (Encyclopedia.com 6-
- 7- "التصوف"، مؤسسة هنداوي، ترجمة لبحث تاريخي عن التصوف يتضمن عرضًا لظهور اللقب ومرحلة القرن الثاني. (Hindawi Downloads)
- (Alexander Knysh, "Abū Hāshim al-Ṣūfī," EI3 (preview). (Academia 8-
- (Encyclopaedia Iranica, "EBRĀHĪM B. ADHAM." (Encyclopaedia Iranica 9-
- (Ahmet T. Karamustafa, Sufism: The Formative Period. (Oriental Philosophy School 10-

عصـــــارة الكتـــــب

كتاب «موقف ابن تيمية من الصوفية»: حين يُقرأ التصوف بميزان التحرير لا بشعارات الخصومة

لجنة البحوث والدراسات بمجلة مدارك

بطاقة الكتاب



اسم الكتاب: موقف ابن تيمية من الصوفية

المؤلف: د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

الناشر: مكتبة دار المنهاج - الرياض

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: 1430هـ

نوع الكتاب: أصله رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عدد الأجزاء: جزآن.

هذا الكتاب ليس عرضًا عامًا للتصوف، ولا هو تجميع سريع لنصوص شيخ الإسلام ابن تيمية في المتصوفة، بل هو محاولة منهجية لإعادة بناء موقف ابن تيمية من الصوفية من داخل كتبه ومقدماته ومصطلحاته ومسالكه في الحكم على الطوائف. وقيمة الكتاب الحقيقية أنه لا يبدأ من الأحكام الشائعة على ابن تيمية، بل يبدأ من سؤال أدق: كيف كان ابن تيمية يقرأ الفرق أصلًا؟ وكيف طبّق هذا المنهج حين تناول الصوفية؟ ومن هنا جاء تمهيد المؤلف بترجمة موجزة لابن تيمية، ثم إدخال القارئ إلى خلفية الفرق ونشأتها وأصولها قبل الوصول إلى صلب المسألة.

يُبنى الكتاب في خمسة أبواب متدرجة، وهذا التدرج نفسه من أبرز نقاط قوته. فالباب الأول مخصص لمصادر ابن تيمية ومنهجه في عرض آراء الفرق الإسلامية ومناقشتها، مع تقويمه لكتب المقالات؛ وهو باب مهم لأنه يفسر لاحقًا لماذا لم يكن ابن تيمية يكتفي بنقل مقالة خصومه، بل كان ينظر في أصلها، ومآلها، ووجه موافقتها أو مخالفتها للوحي. ثم يأتي الباب الثاني لتعريف الصوفية من حيث النسبة والنشأة والأطوار التاريخية والفرق والأعلام ومصادر التلقي، فيتحول الكتاب من مجرد "رد" إلى عمل تأسيسي يحرر محل النزاع قبل إصدار الأحكام.

أما الباب الثالث فهو قلب الكتاب العقدي؛ إذ يعرض آراء الصوفية في أبواب الاعتقاد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والأسماء والصفات، والنبوة، والولاية، والكرامات، واليوم الآخر، والقدر، والموقف من المعاصي ودرجاتها.

وأهمية هذا الباب أنه لا يترك التصوف في صورته الأخلاقية الرخوة التي يلوذ بها كثير من المدافعين عنه، بل ينقله إلى ميدان الاعتقاد، حيث تظهر الفوارق الحاسمة بين الزهد المشروع وبين الانحرافات التي دخلت على كثير من الطرق والمصنفات.

وبهذا يلفت الكتاب النظر إلى أن الحكم على التصوف لا يستقيم إذا اقتصر على لغة الوجد والرقائق، وأُهملت أصول التلقي والتوحيد والإيمان.

ثم ينتقل الباب الرابع إلى الجانب العملي السلوكي، فيتناول وسائل الطريق الصوفي مثل الخلوة، والصمت، والعزلة، والجوع، والسهر، والأوراد والأذكار، كما يتناول معالم الطريق نفسها: المريد وآدابه، والعهد، والبيعة، والتلقين، والخرق، والمرقعات، والتعري. وهذه نقلة مهمة في بناء الكتاب؛ لأنها تُظهر أن المؤلف لا يحصر الإشكال في العقائد المجردة، بل يتعقب أيضًا البنية التربوية والتنظيمية التي تشكل الشخصية الصوفية داخل الطريقة.

ومن هنا تظهر الرسالة المركزية للكتاب: أن الانحراف لا ينشأ فقط من مقالة نظرية، بل قد يتولد أيضًا من منهج تربية وطقوس مصاحبة ومصادر تلقي غير منضبطة.

ويبلغ الكتاب ذروته في الباب الخامس، حيث يعرض موقف ابن تيمية من الصوفية عمومًا: موقفه من مصنفاتهم، ومن شخصياتهم، ومن رواياتهم ومروياتهم، ثم يعقد مقارنة إجمالية بين منهجه ومنهج غيره في عرض الصوفية. وهنا تظهر ميزة الكتاب الأبرز: أنه لا يقدم ابن تيمية على صورة الخصم الذي ينسف الجميع بجملة واحدة، ولا على صورة المادح الذي يذيب الفروق بين الزهد السني والتصوف الطرقي، بل يقدمه على طريقته المعروفة في التفصيل؛ يرد ما خالف الكتاب والسنة، ويقبل ما وافقهما، ويفرق بين الأشخاص والأحوال والمراحل، ولا يعمم حكمًا واحدًا على كل من انتسب إلى التصوف. وهذه النقطة بالذات هي التي تجعل الكتاب مفيدًا في تصحيح كثير من التصورات المختزلة حول موقف ابن تيمية.

والخلاصة التي ينتهي إليها المؤلف واضحة وحادة: أن الصوفية ابتغوا الهداية في غير الكتاب والسنة فضلوا، وأن تقديس الأشخاص كان سببًا رئيسًا في الوقوع في ضلالات وشركيات وبدع، وأن هذه البدع منها ما هو عقدي ومنها ما هو سلوكي، وأن ابن تيمية تولى الرد على ما خالف فيه الصوفية أهل السنة، مع إنصافه لهم وتفصيله في أحوالهم وعدم تعميم الأحكام عليهم وقبوله ما وجد عند بعضهم من حق. وهذه النتيجة تعطي الكتاب نبرته الخاصة؛ فهو ليس كتابةً انفعالية ضد التصوف، بل محاولة لتقنين الحكم عليه من خلال أصول التوحيد، ومناهج التلقي، وقاعدة التفريق بين الحق الذي قد يوجد عند طائفة، والباطل الذي يفسد أصلها أو كثيرًا من مسالكها.

ومن زاوية تحريرية، يمكن القول إن أفضل ما في الكتاب أنه يُخرج القارئ من الثنائية الساذجة التي كثيرًا ما تحكم الحديث عن ابن تيمية والصوفية: ثنائية "المدح المطلق" أو "الذم المطلق". فالكتاب يبيّن أن ابن تيمية لم يكن يبني أحكامه على مجرد الألقاب، بل على الحقائق والمضامين؛ فما وافق الوحي قبله، وما خالفه رده، ولو صدر من منتسب إلى الزهد أو العبادة أو الولاية. ولهذا فـ«عصارة» الكتاب ليست مجرد أن ابن تيمية "كان ضد الصوفية" أو "كان منصفًا لهم"، بل إن عصارته الأعمق هي أن الانتساب إلى الزهد لا يعصم من الخطأ، وأن الميزان في الحكم على الطوائف والأفراد إنما هو الكتاب والسنة، مع عدل في الوصف، ودقة في التفصيل، ورفض للتعميم المخل.

ولهذا يعد الكتاب نافعًا لسببين معًا: الأول أنه يقدم مادة موسعة مرتبة في بنية أكاديمية واضحة، والثاني أنه يفتح للقارئ بابًا مهمًا لفهم منهج ابن تيمية نفسه في الحكم على الفرق، لا على الصوفية وحدهم. فمن يقرأ هذا العمل جيدًا يدرك أن المؤلف لم يرد مجرد استعراض انحرافات الطرق، بل أراد أن يبين كيف كان ابن تيمية يزن المقالات والأحوال، وكيف أن الإنصاف عنده لم يكن تمييعًا، كما أن الحزم لم يكن تهورًا في إطلاق الأحكام. ومن هنا تأتي أهمية الكتاب في زمان كثرت فيه القراءات الانتقائية لتراث ابن تيمية، إمّا لتطويعه في اتجاه الخصومة المجردة، أو لتفريغه من صلابته العقدية باسم "الإنصاف".

المصادر:

- للإطلاع على الكتاب كاملاً "موقف ابن تيمية من الصوفية" للدكتور محمد العريفي https://www.alhesn.net/play/11633

مدارك

مجلة شهرية علمية متخصصة
في بيان حقيقة الصوفية



WWW.MDAREK.NET